

THE AMAZIGH FEMINIST NOVEL IN MOROCCO

Khadija MARKI¹

Researcher, sidi mohamed ben abdellah university, morocco

Abstract:

Amazigh literature has noticed a notable development in recent years, in diverse creative genres such as poetry, story, theatre, short story, and novel... Genres in which Amazigh writers have excelled significantly, whether on the level of topic or form. In this research, I will focus on novels written by women, which appeared and reserved late compared to the rest of the Amazigh literary genres, but it was a strong difference in the Amazigh literary creativity. Even in the old novel format.

Despite this delay, novelist women were able to be creative and gather a significant production in the genre of the novel. From the beginnings in 2005 until 2020, we find about 23 Amazigh novels of different styles, aesthetics, and form, as well as themes and structures, written by women. It is noticeable in the modern topics of the Amazigh feminist novel, its adoption of the fantasy theme as a new reference in perception and creativity after the feminine concern and identities dominated the feminist writings.

For example, we find the young novelist Fadima Firas, who published five different novels, as she is considered one of the writers for whom productive criticism played an essential role in the language and topics of her writing. So it became a bright face in what is called the reference to the rebellion and the fantasy of the novel, as well as its adoption of the reference to magical realism. This is what we noticed in our study of her publications, and I will single out as an example her novel *tifilla n tmagust*, a field of my analysis and study.

Key words: Literature, Feminism, Amazigh, Fantasy.

 <http://dx.doi.org/10.47832/2757-5403.18.11>

¹  markikhadija@gmail.com

الرواية النسوية الأمازيغية بالمغرب

خديجة مري

الباحثة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس، المغرب

الملخص:

عرف الأدب الأمازيغي تطوراً ملحوظاً في السنوات الأخيرة، في مختلف الأجناس الإبداعية، سواء منها الشعر أو القصة، أو المسرح، أو القصة القصيرة، أو الرواية... أجناس أبداع فيها كثيراً الكتاب والكاتبات بالأمازيغية، سواء على مستوى الموضوع أو الشكل. وفي هذا البحث سأركز على الكتابة النسائية وخصوصاً جنس الرواية كجنس أدبي تأخراً في الظهور والتراكم مقارنة بباقي الأجناس الأدبية الأمازيغية، ورغم هذا التأخر أحدث هذا الجنس الأدبي طفرة إبداعية قوية في الأدب الأمازيغي، حيث بزغ نجم كاتبات روائيات واعيات بمسؤولية الأدب الأمازيغي، فطورن اللغة والأساليب وتمردن على الشكل الكلاسيكي للرواية.

ورغم هذا التأخر في مجال الإبداع الروائي، فقد استطاعت النسوة أن يبدعن ويراكمن إنتاجاً لا بأس به في جنس الرواية، فمنذ بداية أول رواية نسوية أمازيغية سنة 2001 حتى سنة 2020 نجد حوالي 23 رواية نسوية أمازيغية مختلفة في التيمات التي تناولتها، وكذلك في الأسلوب والجمالية والشكل. وما يلاحظ في المواضيع والتميمات التي تناولتها الرواية النسوية الأمازيغية، هو اعتمادها على الفنتازيا كمرجعية جديدة في التصور والإبداع، بعد أن كان الهم الأثوي والقهر الاجتماعي يطغى على الكاتبات النسوية. فعلى سبيل المثال نجد الروائية الشابة فاضمة فراس والتي أصدرت خمس روايات مختلفة، تعتبر من الكاتبات اللواتي لعبن دوراً أساسياً في تطوير لغة ومواضيع الكتابة النسوية، حيث اعتمدت على الكتابة الفانتازية في إبداعاتها فصارت وجهاً لامعاً فيما يسمى باتجاه التمرد وفنتازيا الرواية التي تدخل ضمن الواقعية السحرية في الأدب الأمازيغي. وهذا ما لاحظناه في دراستنا لإصداراتها، وسأخص بالتحليل والدراسة في هذا المقال روايتها "tifilla n tmagust" أي هباء الجريحة، أنموذجاً.

الكلمات المفتاحية: الأدب، النسوية، الأمازيغية، الفنتازيا.

المقدمة:

بالرغم من الاهتمام الواسع الذي أولاه الباحثون للأدب الأمازيغي، إلا أن هذا الاهتمام في مجمله استقر على دراسة الأدب الشفوي القديم بمختلف أجناسه. أما الأدب الحديث، فقد حظي ببعض الاهتمام منذ سبعينيات القرن الماضي، حيث برز كنتيجة لمجموعة من التحولات، والعوامل الاجتماعية والسياسية والثقافية التي عرفها المغرب في العقدين الأخيرين، كتأسيس المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية سنة 2001، والذي ساهم بشكل كبير في تشجيع الاعمال الأدبية من خلال دعم المؤسسات والجمعيات والمبدعين، تشجيعاً لهم على الإبداع والعطاء الأدبي، ثم إدماج اللغة الأمازيغية في التعليم الابتدائي ابتداء من سنة 2003 إلى الآن وفي بعض الجامعات المغربية منذ سنة 2007، كل هذه المكاسب السياسية والثقافية ساهمت كثيراً في إنتاج جيل مبدع واع ومثقف.

أما ميلاد الجنس الروائي في الأدب الأمازيغي، فقد تأخر مقارنة بالأجناس الأدبية الأخرى (الشعر، القصة، المسرح..)، فالرواية لم تظهر إلا في أواسط التسعينات، وكانت أول رواية أمازيغية بالمغرب هي askkif n inzadn لعلي إيكين، وهي الرواية الحاصلة على الجائزة الأولى للإبداع الأدبي لجائزة مولود معمري في تيزي وزو بالجزائر 1995. لكنها لم تنشر إلا سنة 2004 ضمن منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية.

ولندرة الدراسات الأكاديمية في موضوع الكتابة الإبداعية الروائية والنسوية على وجه الخصوص، ارتأيت في موضوع بحثي أن أخص الرواية الأمازيغية النسوية التي أبدعتها المرأة بالدراسة والتحليل، في نشأتها وتطورها وتراكمها الملحوظ، وكذا تيماتنا وجمالياتها الفنية واللغوية.

أهداف البحث:

قبل الشروع في تحليل ودراسة أية ظاهرة لابد من الارتكاز على مجموعة من الأهداف، وباعتبار الرواية الأمازيغية النسوية مولود حديث، فقد حددت أهداف بحثي كالآتي:

- التعريف بفعل الكتابة النسوية السردية، وذلك بالتركيز على الرواية الأمازيغية بسوس، كفعل متمرد لم تشهد الساحة الأدبية الأمازيغية من قبل.
- تحليل المحتوى السردى الروائي لمعرفة أعماق الإبداع الأدبي النسوي فيه.

أهمية الدراسة:

تكتسي الدراسة في الأدب الأمازيغي عامة وفي الرواية بشكل خاص، أهمية بالغة تكمن في كون هذا المنتج (الكتابة النسوية، جنس الرواية) جديد وطري، ويغري بالدراسة والبحث، بحكم قلة الدراسات الأكاديمية بهذا المجال، وذلك لاستكناه العمق التيماتي والدلالي في الكتابة السردية النسوية.

الإشكالية:

ارتبطت الرواية الأمازيغية بالمغرب بمجموعة من المتغيرات التاريخية والمتعلقة بالوعي الثقافي الهوياتي الأمازيغي في العصر الحديث، ولم تكن المرأة في منأى عن هذا الوعي، مما جعلها تكسر مجموعة من القيود المجتمعية لتخرج عن قيود المعتاد، لتكتب جنساً أدبياً خاصاً بها.

لذا فالهدف من موضوع بحثي ليس التقسيم بين الأدب الذكوري والأدب النسوي، وإنما دراسة مدى إبداعية وجدية المرأة في جعل الرواية النسوية الأمازيغية ذات خصوصية، إذ نلاحظ من خلال التسلسل الزمني للرواية النسوية أنها انخرطت أكثر في قضايا المرأة النفسية والاجتماعية، ووعيتها الهوياتي بالقضية، وباللغة الأمازيغية كما تأرجحت كتاباتها أيضاً بين الواقعية والفانتازيا، وربما هذه الأخيرة هي الاتجاه المهيمن والأكثر حضوراً في الكتابة النسوية الأمازيغية الحديثة.

وبهذا جعلت لنفسها ميزات خصوصيات أنثوية (زهور، 2018)

- أغلب الروايات الأمازيغية التي تتخذ من المرأة شخصيتها الأساسية هي إبداع نسوي.
- طغيان المواضيع المرتبطة بقضايا المرأة سواء على المستوى النفسي أو الاجتماعي أو الثقافي أو الهوياتي (هوية الأنثى).
- تميز أغلب الروايات النسوية المنشورة بحالة تمردية ضد الأوضاع الاجتماعية، والتي تبخس قيمة المرأة.

أسئلة البحث:

- هل استطاعت المرأة فعلاً بصم تأثيرها في الحقل الأدبي الأمازيغي وخاصة في جنس الرواية؟
- ما الجديد والمميز في التيمات المختارة لدى المرأة المبدعة باللغة الأمازيغية؟

الدراسات القبلية:

تأسست رابطة تيرا للكتاب بالأمازيغية في 10 يوليوز 2009 بأكادير، وهي إطار جمعي ثقافي وأدبي، وجعلت من أهدافها - كما ورد في قانونها الأساسي - المساهمة في الارتقاء بالثقافة الأمازيغية في مجالاتها الأدبية والفكرية، على مستويات التنظيم والاشتغال والإنتاج والترويج والتواصل وممارسة الكتابة باللغة الأمازيغية؛

وأصدرت من الكتب النقدية ما يتضمن الكثير من الدراسات تخص الكتابة السردية والروائية الأمازيغية وهي كالآتي:

- كتاب "قراءات في الرواية الأمازيغية"، سنة 2014. وهو مؤلف جماعي جاء في إطار الملتقى الوطني للرابطة حول الرواية المكتوبة بالأمازيغية، تطرق فيه الباحثون الشباب والأساتذة المختصون والنقاد الأمازيغ، إلى نشأة وبيبلوغرافية، وتيمات هذا الجنس الأدبي الحديث.

- كتاب "الكتابة السردية بالأمازيغية مقاربات نقدية"، تنسيق رشيد نجيب، سنة 2017. وفيه تمت دراسة وتحليل مجموعة من الإبداعات والكتابات السردية الروائية ومنها روايات نسوية.

- كتاب "الرواية الأمازيغية: النشأة والامتداد" سنة 2019، تنسيق عياد أحيان. صدر بعد الملتقى الأول للرواية الأمازيغية الذي نظمته رابطة تيرا بشراكة مع شعبة الدراسات الأمازيغية بكلية الآداب، جامعة ابن زهر أكادير. دراسة همت الغوص أكثر في الخصائص الموضوعاتية والأسلوبية، والتوجهات العامة التي عرفتها الكتابة الروائية الأمازيغية، بالإضافة إلى التراكم المهم الذي وصله الإنتاج الإبداعي، جنس الرواية في السنوات الأخيرة.

الإطار المفاهيمي:

ينبغي تحديد المفاهيم أولاً، لتكون دلالتها واضحة بعيدة عن اللبس والغموض والإشكال. حيث سترد مجموعة من المفاهيم الأساسية في البحث، أهمها:

- الأدب الأمازيغي، يقول الحسين المجاهد "أنه يشمل محيطاً لغوياً وثقافياً يتمثل في الفضاءات التي تتداول فيها اللغة الأمازيغية الناقلة لمختلف أجناسه ... " (الحسين، 1991)، كما يعرفه الفرقاني محمد الحبيب بأنه " آداب إنسانية عبرت عن مشاغل ومشارف ومواجد انسان أمازيغي حر... " (الحبيب، 1991).

- المرأة ويستوجب موضوعها من الباحث والدارس أن يميز، ويفهم عمقها ودلالة كتابتها الإبداعية، فالمرأة هي تلك الأنا القوية القادرة والمبدعة المتميزة، خصوصاً عندما تقرر أن تثبت ذاتها أدبياً وفكرياً ضد المجتمعات الذكورية البطريركية، والتي لطالما حاربتها واحتقرتها وقزمت قدرتها ودورها في الحياة. وفي هذا الصدد سنحاول التركيز على المرأة المبدعة، وإنتاجاتها وقدرتها على ابتكار أسلوب خاص بها..

- الأدب النسوي: أما الأدب النسوي فهو ما استطاعت المرأة إبداعه وكتابته، أي الأدب الذي يعبر عن شخصية المرأة في أنثويتها واستقلاليتها ووطنيتها، وذلك بالتعبير عن قضايا مجتمعتها في مختلف المجالات.

- الرواية الأمازيغية يتحدد مفهومها وهويتها الأمازيغية في إطار الرواية العالمية والمغربية بشكل عام، وليس من الكتابة بالأمازيغية فقط، بل من كيفية تعامل الروائي مع أبعاد هذه اللغة بفضاءاتها وشخصياتها وأساليبها ومميزاتها الثقافية.

المقاربة:

ساعتمد في بحثي على:

- المقاربة التحليلية، بحيث تقوم على شرح وتفسير وتفكيك وتأويل أجزاء النص، ما يجعله واضحاً جلياً على جميع المستويات اللغوية والأسلوبية في علاقاتها بين الأجزاء والكل في الخطاب الأدبي. فالتحليل هو القراءة المتأنية والوقوف عند دلالة الألفاظ والمعاني وإدراك المغزى من استعمالها في السياقات المختلفة.

- النقدية لما يكتسبه النقد من أهمية منهجية في التعامل مع النصوص الأدبية، فهو لا يؤثر في القيم الفنية والاجتماعية والجمالية للإنسان فقط، وإنما يقدم أسلوباً منظماً ومنسقاً في التعامل مع الكتابات الإبداعية والنصوص الأدبية. فالنقد هو إثارة الأسئلة وتقديم الإجابات، وفتح الأفق لمختلف التساؤلات حول النص، خصوصاً النقد الموضوعاتي، والذي يعتبر منهجية نقدية جديدة تعتمد على مجموعة من الركائز المنهجية الأساسية في العمل الأدبي ك:

- قراءة النص قراءة عميقة.

- البحث عن التيمات الأساسية والبنى الدلالية المحورية والموضوعات المتكررة في النص الإبداعي... فالنقد الموضوعاتي يقوم بتحديد التيمات في الأعمال الأدبية غاية لدراساتها، ويعتبر أيضاً منهجاً فعالاً في التعاطي مع النصوص الأدبية دلاليًا، ومعجميًا، ولسانيًا، وبلاغيًا.

إشكالية الأدب النسوي

بات الإبداع النسوي ركناً رئيساً في البناء الثقافي.. وغدت المرأة عنصرًا فاعلاً في حقول الأدب والفكر، بعد أن كانت مستهلكة يتوقع في قفص اجتماعي بال، إذ استطاعت أن تؤكد حضورها باعتبارها عنصرًا اجتماعيًا فاعلاً، فصارت شاعرة وناثرة وباحثة أثرت الحياة الثقافية بعطاءات حقيقية ناهضة في مختلف الجوانب الحياتية المعيشة. (فزازي، 2022، صفحة 79)

ومما لا شك فيه وبعد قدرة المرأة على الالتحاق بركب الأدبيين والأدبيات ودخولها غمار الكتابة في مختلف الأجناس الإبداعية، صار من الضروري، لما تقتضيه الظرفية، الوقوف على تسمية قائمة بذاتها لهذا الابداع الذي تنتجه المرأة. فمن خلال النضال الذي عرفه العالم سياسياً والذي خاضته النسوة، احتجاجاً عن وضع المرأة الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي عانت منه لعقود عديدة ولازالت، فقد سمي الإبداع الذي تنتجه بالأدب النسائي، حيث دخل مفهوم "النسائية" للغة أصلاً بفعل نضال النساء من أجل حقوقهن وهويتهم، ولذلك ارتبط تاريخ المفهوم بالفعل النسائي ذاته، إذ تم تعميم مصطلح النسائية مع نهاية القرن 19 ... تقول جنوفيف فريس "النسائية حقيقة اجتماعية تعود إلى 150 سنة، ولكنها أيضاً تمثل أيديولوجي عبر عنه ظهور اللفظة الجديدة 'النسائية'. فالنسائية بهذا المعنى إحالة إلى حضور مزدوج: حضور اجتماعي وحضور أيديولوجي، وواضح أن الحقيقة الاجتماعية إحالة على تنظيم وفعل؛ والتمثل الأيديولوجي إحالة على فكر، وهنا تستوقفنا ملاحظة أثارها الكاتبة ذاتها وهي أن النسائية على خلاف باقي المذاهب الفكرية لا ترتبط بمؤسسة أو مؤسس محدد، ولكنها تغطي من مذاهب متعددة. تعرف آن جاكين "النسائية" بأنها "وعي المرأة باضطهادها الذي ليس اضطهاداً اقتصادياً أو حقوقياً أو جنسياً فحسب، بل سيكولوجياً بالأخص... وتكون الحركة النسائية بالتالي هي " العمل الجماعي الذي يتجاوب مع ذلك الاضطهاد، أي حركة تحرر "ليكون المفهوم بذلك غير قابل لأن يجزأ إلى فعل وحركة فقط أو إلى مذهب وفكر فقط، وكما تقول جنوفيف فريس عن النسائية "بوصفها ممارسة سياسية معاصرة للديمقراطية، يمكننا إثبات وحدة مذهبها المميز بإدانة قهر النساء واستغلالهن وتأكيد استراتيجية تهدف إلى المساواة بين الجنسين" (الطاهري، 2018، صفحة 21)

إذا فالنسائية تفرض نفسها كتسمية قائمة الذات، تحمل في ثناياها كل معاني التمرد والتحدي والاحتجاج، والرغبة في الحرية، فهي نتيجة نضال متشعب ومرتبطة ابتداءً سياسياً وتوزع على باقي المجالات الحياتية، لتستهوينا نحن في الكتابة الإبداعية التي أنتجتها المرأة.

نشأة الرواية الأمازيغية

نشأت الرواية الأمازيغية كما أسلفنا الذكر، في ظروف مجموع التحولات التي عرفها المكون الأمازيغي بالمغرب، رغم أنها تأخرت في الظهور مقارنة بباقي الأجناس الأدبية الأمازيغية الأخرى، إذ تعتبر الرواية جنساً أدبياً متفرداً يغوص بين الأدب والمجتمع والتاريخ، ففيها نجد مزيجاً من الثقافات، ومن خلالها يستطيع السارد البلوغ باللغة إلى مستويات عدة. وكما قال باختين " فالخطاب النثري يمثل التشظي والتعددية مما يجعل الرواية خطاباً منفتحاً قادراً على الاستيعاب والتحويل والتحويل... " (المنادي، 2016).

وهذا ما لامسه القارئ في الرواية الأمازيغية وقدرتها على التعبير عن كل الأحاسيس والاهتمامات وذلك بما تحمله من عبارات متأصلة، تحمل في ثناياها البلاغة والبيان، "وكأن الروائي بصدد دحض الأطروحة القائلة بعجز اللغة الأمازيغية وضعف متخيلها الفني، أو القائلة بأن الأمازيغية لغة شفاهية محكومة بمنطق التواصل العامي بما يعنيه من بساطة التعبير وسذاجة التصوير... " (المنادي، 2016).

بيبلوغرافية الرواية النسوية الأمازيغية

لاحظنا من خلال دراستنا للرواية الأمازيغية النسوية، والتي رغم تأخرها في الالتحاق بركب الأدب الأمازيغي، أن الكاتبات الروائيات تشبعن باللغة السردية الحكائية "واجتهدن وأحدثن قواعد جديدة وسرن وفقها، وذلك من أجل استبدال الدخيل بالأصيل في المعجم، ومن خلال الانفتاح على المنطوقات الأخرى داخل وخارج الوطن، هذا الانفتاح مكن الكتاب من اكتشاف غنى اللغة الأمازيغية وراثتها المعجمي " (بتصرف) (أكونا، 2016).

أما الرواية النسوية الأمازيغية فقد كانت نشأتها بالمغرب سنة:

- **2001**: مع أول روائية من جبال الريف، الكاتبة مایسة رشيدة المراقی تحت عنوان **tisrit n izru** "عروس من صخر". مطبعة مؤسسة النخلة-وجدة.
- **2011**: الكاتبة فاطمة بهلول برواية **tawnza** "الناصية" من منشورات رابطة الكتاب بالأمازيغية "تيرا"، وقد حازت بها الكاتبة على الجائزة الأولى للإبداع الأدبي صنف الرواية التي نظمتها الرابطة في نفس السنة.
- **2011**: الكاتبة سعيدة فرحات برواية **izuran** "الجدور" وهي من منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية بالرباط.
- **2013**: الكاتبة خديجة إیكن برواية **titrit n tiwwudc** "نجمة المغیب" بالدار البيضاء.
- **2013**: الكاتبة امليعد العدناني برواية **ha tudrt had amarg nns** "منشورات رابطة تيرا للكتاب بالأمازيغية".
- **2015**: الكاتبة فاضمة فراس برواية **ddaw ucdad n tcaga nnm** "أي" "في حزن مأساتك"، منشورات رابطة تيرا للكتاب باللغة الأمازيغية، حازت على الجائزة الأولى لمسابقة الإبداع الأدبي صنف الرواية والتي نظمتها الرابطة في نفس السنة.
- **2017**: الكاتبة فاضمة فراس برواية **askti n tilkkawt** "أي" "مقبض رحي القهر" منشورات رابطة تيرا للكتاب بالأمازيغية.
- **2017**: الكاتبة جميلة إيريزي برواية **tafaska n trrukza** "أي" "أضحية الرجولة"، منشورات رابطة تيرا، وحازت على الجائزة الثانية لمسابقة الإبداع الأدبي صنف الرواية والتي نظمتها الرابطة في نفس السنة.
- **2017**: الكاتبة حنان أوبوتو برواية **tarragin n waggas** "أي" "هدايا الجرح"، منشورات رابطة تيرا، حازت على الجائزة الأولى لمسابقة الإبداع الأدبي صنف الرواية التي نظمتها الرابطة في نفس السنة.
- **2018**: الكاتبة فاضمة فراس برواية **igntrn d ifavr n** "أي" "صخور وأفاعي"، منشورات رابطة تيرا للكتاب بالأمازيغية بدعم من المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية.
- **2018**: الكاتبة زهرة دیکر برواية **tiski tarjdalt** "أي" "تیسکی العرجاء"، منشورات رابطة تيرا للكتاب بالأمازيغية.
- **2018**: الكاتبة خديجة الكجضى برواية **tisatin** "أي" "مرايا"، منشورات رابطة تيرا للكتاب بالأمازيغية بدعم من المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية.
- **2018**: الكاتبة امليعد العدناني برواية **inadan d wadan** "منشورات رابطة تيرا للكتاب باللغة الأمازيغية".
- **2019**: الكاتبة زهرة دیکر برواية **tanawt n wuklan** "منشورات رابطة تيرا للكتاب بالأمازيغية".
- **2019**: الكاتبة خديجة الكجضى برواية **tigurrma illsn** "أي" "الشرف المظلم" منشورات رابطة تيرا للكتاب بالأمازيغية.
- **2020**: الكاتبة فاضمة فراس برواية **tifilla n tmagust** "أي" "بقايا جريحة" منشورات رابطة تيرا للكتاب بالأمازيغية.

- 2020 الكاتبة املعيد العدناني برواية "adis n wuccn" أي "بطن الذئب"، منشورات رابطة تيرا للكتاب بالأمازيغية.
- 2020 الكاتبة زهرة ديكر برواية "ifri n baba" أي "كهف أبي"، منشورات رابطة تيرا للكتاب بالأمازيغية.
- 2020 الكاتبة خديجة الكجضى برواية "asawn n uzddar" أي "المنحدر الاسفل"، منشورات رابطة تيرا للكتاب بالأمازيغية.
- 2020 الكاتبة عزيزة نافع برواية "tagmart n ismdal"، أي "فرس القبور"، منشورات رابطة تيرا للكتاب بالأمازيغية.
- 2020 الكاتبة جميلة إيريزي برواية "ivzdisn frvnin" أي "الضلوع المعوجة"، منشورات رابطة تيرا للكتاب بالأمازيغية.
- 2020 الكاتبة بشرى لدوزي برواية "fk iyi ad suv" أي "منحني شربة"، منشورات رابطة تيرا للكتاب بالأمازيغية.
- 2020 الكاتبة فاضمة فراس برواية "ibiw n tarir" أي "حبة فول السعلاة"، منشورات رابطة تيرا للكتاب بالأمازيغية.
- عرف هذا الزخم الكبير من الإصدارات الروائية النسائية جمالية فنية ولغوية مميزة، تطورت مع مرور السنوات مع الوعي الأدبي للكتابة السردية، إذ تعتبر هذه الحصيلة التي راكمتها الرواية النسائية الأمازيغية بالمغرب مهمة جداً.
- فمن خلالها استطاعت الأنثى التعبير عن مشاغلها وهمومها المجتمعية، ومعبرة أيضاً عن حقوقها المهضومة كمرأة، إذ حاولت أن تصبغ وعيها النسوي بذاتها وبالآخر برؤية مختلفة عما يراه ويؤمن به المجتمع الذكوري، بل ويحاول ترسيخه أكثر في التقاليد والأعراف كممارسات اجتماعية.
- وتمردت أيضاً على الواقع المعاش ورفضته في تفاصيله من خلال الاحتجاج الفني والأدبي في كتاباتها. كما أن الكتابة الروائية النسوية في بعض الأحيان لم تقتصر على الدفاع عن المرأة وهمومها ومشاعلها وحقوقها فقط، وإنما كانت كتابتها معبرة أيضاً عن جميع مكونات وقضايا المجتمع والتي لا تخص المرأة وحدها.
- كل هذه الإبداعات تعبر بشكل أو بآخر عن الهوية الأمازيغية والأنثوية بتنوع أبعادها، ويمكن التمثيل لكل ما سبق بالرواية فاضمة فراس وقدرتها على الخوض في مختلف الموضوعات سواء المشتركة عالمياً أو الخاصة وطنياً، بالإضافة إلى تخصصها في التخيل والعجائبي باستعمال أساليب فنية وجمالية.

الفتنازيا كتيمة أساسية في الرواية النسوية الأمازيغية

تطور السرد الأمازيغي كثيراً في السنوات الأخيرة، وذلك "باستخدام تقنيات سردية حديثة وبالنزوع نحو تشكيل بناءات مركبة ومتداخلة، وبتبسيط اللغة والأسلوب، وبتطعيم المواضيع المعالجة بأبعاد مثيرة للتشويق. ومن أهم الخصائص والأبعاد الفنية الحديثة التي حاولت الرواية الأمازيغية.. استثمارها وتوظيفها خاصة "العجائبي_الفانتاستيك" متأثرة في ذلك بالرواية العالمية الجديدة التي لجأت إلى التعجب في إطار "ردة فعل ضد في العقلانية (...). وضرورة البحث عن أشكال مغايرة تكون امتداداً وانقطاعاً، في آن، عن الحكاية السحرية الخارقة..." (أزروال، 2014).

فالفتنازيا هي أدب التخيل والحلم واستحضار الميثافيزيقي في السرد، فقد حدد تودوروف ثلاث شروط للتعريف بالأدب الفتنازي "أولاً أن يحيل النص القارئ على اعتبار عالم أحياء، وعلى التردد بين تفسير طبيعي وتفسير فوق طبيعي للأحداث المرئية، ويتوحد القارئ مع الشخصية، في حالة قراءة ساذجة، أخيراً ينبغي أن يختار القارئ موقفاً معيناً اتجاه النص، إنه سيرفض التأويل اليعقوبي مثل التأويل الشعري" (بوعلام، 1993).

أما التعريف الثاني لخوليو كرتزار والذي عرف بإبداعه في هذا المجال "المشكلة تكمن أن ندرك ما هو الفانتاستيك ... هو أن يرجع كل واحد منكم إلى عالمه الداخلي إلى تجاربه الشخصية هذا الإحساس الفانتاستيكي إحساس عميق.... كنت دائماً أنظر إلى العالم بشكل مختلف، كان لدي دائماً شعور بأن بين شيئين يبدو أن محددين ومنفصلين بشكل تام هناك فجوات يتسرب عبرها عنصر لا يمكن تفسيره بالمنطق... في هذه الثغرات يوجد إحساس يشعر بحضور شيء مختلف ويشعر بما يمكن أن نسميه الفانتاستيك" (الإحساس الفانتاستيكي لخوليو كرتزار، 2008).

فبعدها كان التركيز في الكتابة النسوية الأمازيغية على تيمات الهوية والوطن، المجتمع والسياسة، الحب والطبيعة، أبدعت النسوة أيضاً في الجمع بين الواقع والخيال، فقد كانت لهن القدرة على الخوض في مجال الأدب الفنتازي والعجائبي أو الخيال الواقعي. وهو ما سأركز عليه في تحليلي لرواية tifilla n tmagust للكاتبة فاضمة فراس نموذجاً.

تحليل رواية tifilla n tmagust للكاتبة فاضمة فراس

هذا الفن أو الأدب الميتافيزيقي لامسناه كثيراً في روايات الكاتبة فاضمة فراس، وهي كاتبة شابة من الجيل الجديد تشبعت كثيراً بالآداب العالمية وبالحكاية الأمازيغية. إذ يتضح لنا من خلال الرؤية الأولى لغللاف الرواية وجود مجموعة من الصور المتداخلة والمتكاملة، فهناك قمر مكتمل، منزل قديم الطراز، لوح مقبرة وشجرة الأركان، وكلها رموز ذات دلالات عميقة جداً، وظفتها الكاتبة لإثارة مخيلة القارئ وتهيئته للأحداث، ثم عروسين على غير المألوف، إذ يلاحظ قرنان أحمران فوق رأس الزوج أو العريس. هذه الصورة هي إحدى العتبات الأساسية التي تجعلنا ننتهي لقراءة حبكة مغايرة عن الكتابة الروائية الكلاسيكية والتقليدية.

من خلال تحليلنا للرواية ومن خلال أحداث الفصل الأول والتي هي عبارة عن مجموعة من الأحاسيس المليئة بالعاطفة والحزن والألم والتشظي الذي آلت إليه حياة البطلة. فالساردة اختارت أن تبدأ روايتها بنهاية هي عكسية تامة لحبكة الحكاية، حيث وضعت القارئ في زوبعة ذهنية وأمام كومة من الأسئلة أهمها، ما السبب في وجودها في مستشفى المجانين؟ كيف ومتى ولماذا؟ أسئلة تجعل القارئ يتشبث بسطور الرواية ليفهم ويتعمق في خباياها باحثاً عن أجوبة تروي عطشه.

وبالغوص في عمق الرواية تتراءى لنا من القراءة الأولية أننا أمام بطلة تعاني من اضطراب نفسي لحقها منذ الطفولة في رحلتها الباحثة عن الحب، فبحثت عنه في صوت، نظرات وتعامل والدتها لكنها لم تجده البتة، إذ لم تجمعها مع والدتها أية لحظة حب أو عطف، ولم تشعر بالدفء العائلي قط. أعادت البحث مرات عدة، ولكنها لم تستشعره أبداً، وفي المقابل تلاحظ أن الأم تعامل القطة بكل حب ولطف وعناية كبيرة، مما جعلها تستشيط غضباً وتقتل أبناء القطة انتقاماً منها، لأنها تحتل مكانتها في قلب والدتها.

ناقشت الكاتبة عدة نقاط، عدة مشاعر وعدة متناقضات ومتضادات، تطرقت أيضاً للأسئلة الوجودية عن الله وكيونته، وعن الحب والهدف والغاية منه وقدرته في تغيير الأشخاص والمبادئ.

فمن خلال كل هذه الأحداث التي عاشتها البطلة، توجهت نحو المقبرة، وهي المكان الوحيد الذي كانت تشعر فيه بالراحة لتجعل من الموتى أصدقاءها الأوفياء، فكانت تستمع لهم بشكل يومي مستغلة قدرتها على سماعهم، ومشاركتهم أحاسيسهم، ولحظاتهم التعيسة، والسعيدة. لتلج بنا في عالمها العجائبي والفنتازي بلغة فنية سلسة، فقد آدمت السماع

لأخبار وحوارات الموتى مع أهاليهم، ذكرت في إحدى ذكرياتها عن المقبرة أنها سمعت حواراً بين رجل وامرأة عن الحرب، قدمته على النحو التالي:

Ur iyi yav umarg n uburri nu. Hmlv t yadlli yuf dari ifd n tmirit . iih ukan mnck d unazi ad sis ssviv . tarwa ann n tvyyult fkan tnt i yixfawn nnsn . nnan ak azur nnsn yuf akk izuran...

"لم أشتق لبندقيتي، رغم أنني أحببتها كثيراً فهي أفضل لي من ألف حبيبة، آه كم من ناز متكبر قتل على يدي فهم يعتبرون أنفسهم أنقى عرق في الكون".

لم يكمل بعد حديثه حتى قاطعته امرأة مدفونة بجانبه:

Azmz ann izri a awsar. izmaz n trgin xsin . vilad aburi nnk advar nns kra n usfsr. Imnvi n wakud ad ifduddr imrign ikimiyn d ibirusn. D anaw nnx nkki dik ka d ittggan tiram n zund imnvan ad...

"لقد مر زمن الحروب والأسلحة النارية أيها العجوز، فبندقيتك الآن مصيرها أحد المتاحف. أما الحروب الراهنة صارت كيماوية وتعتمد الفيروسات لإبادة أمثالنا، فنحن الطعم والضحية...".

فالاستماع إلى حوارات الموتى هي قدرة خارقة وغير منطقية، ولكن الكاتبة سردت أحداث المقبرة بالاعتماد على أشكال تعبيرية وميتافيزيقية، فهذه الإمكانية السردية الخاصة في الأسلوب والكتابة في رواية فاضمة فراس تبين لنا قدرتها على التعبير عن الأوضاع الراهنة بخطاب حديث ومتجدد ومغاير للمألوف. فالساردة تروي الأحداث بضمير المتكلم وشاركت جميع الأحداث في الفصول التسعة، نوعت فيها بين الخيالي العجائبي أو الميتافيزيقي وبين ما هو طبيعي و"واقعي". وفي ذكراها السادسة سردت مجموعة من الأحداث التي وقعت أثناء استقرارها بالغابة وحيدة وهاربة من مجتمع لم تجد فيه نفسها، وذلك بعد قتلها لوالدتها وللقطة.

فالبطلة أثناء توافدها عن المقبرة في طفولتها، كانت قد رأت شبحاً ذا عينين حمراوين ووجها ناصع البياض برداء أسود، رسم ابتسامة جميلة على شفتيه واختفى. أمضت أيامها الأولى في الغابة وحيدة فعاد كما وعددها منذ سنوات خلت، أحبته وعاشرته، وأمضيا أوقاتاً ممتعة معاً، نتج عن علاقتهما الطفل الشبح ذو الشبه بوالده.

فالتسليم بوجود الأشباح شيء لا يصدق والدخول في علاقة حب معهم يعد ضرب من الهذيان والجنون. ولكن اللغة والدقة والجمالية السردية التي استعملتها الكاتبة، جعلت الأحداث تسير بشكل سلس، تجعل القارئ يصدق ما يقرأه وكأن الأحداث واقعية وموضوعية رغم تأكده من أن الميتافيزيقي والفانتازي حاضر في الخطاب السردية.

فالرواية الأمازيغية والنسوية خصوصاً، استطاعت أن تتميز بتجربة خاصة، من خلال تنوع التجارب السردية على مستوى الشخصيات والفضاءات، وكذا التيمات والمواضيع كالتى تطرقت لها الكاتبة، فضلاً عن ذلك يمكن أن نلمس نضجاً وعمقاً لغوياً وأسلوبياً ينم عن قدرة تعبيرية مميزة.

البطلة في الرواية وشعور الاغتراب

عانت البطلة كثيراً في أحداث الرواية من اغتراب عميق داخل بلدتها، ومع أهلها فلم تشعر بالانتماء أبداً أو بالروابط العائلية الدافئة، ولم "يشكل اللقاء في مختلف الفضاءات الاجتماعية مناسبة لتعميق أواصر الانتماء، وأخذ جرعات كفيفة بتوطيد علاقة التآزر والترابط الاجتماعيين فالتواصل -هنا- حاجة نفسية واجتماعية، وليس ترفاً يمكن الاستغناء عنه، فالشعور بالتمزق والضيق الذي يعاني منه البطل، مماثل لأحد الأسباب التي فسرها إميل دوركهيم - في دراسته المشهورة للانتحار- إقدام الأفراد على الانتحار والرحيل عن العالم، ما دام الرابط الاجتماعي الذي يربطهم مع هذا العالم قد فقد شدته، وصار رخواً لا دفي ولا تأزر منه" (أمايور، 2016).

وعاشت البطلة غربة قاسية أيضاً أثناء هروبها من البلدة صوب الغابة بعد أن قتلت والدتها، هذا التشظي الذي شعرت به البطلة كثيراً جعلها تعاني اضطرابات نفسية عديدة، هنا يمكننا التركيز على مستويين أساسيين تتجلى فيهما مظاهر الاغتراب والغربة، ففي "المستوى الأول، ابتعادها عن الامتثال لقواعد التبادل الرمزي المرتبط بالفضاءات والأماكن، وعدم الرهان على اللغة الرمزية التي تفرضها المقبرة. وفي المستوى الثاني، عدم قدرتها على التواصل مع الذوات الغريبة التي تشاركها نفس الفضاءات ويفترض أنها تتقاسم معها انتماءها الاجتماعي ... مما يحيل على أن هذه الذات تعيش اغتراباً قاتلاً، أرغمها على الابتعاد أكثر" (أمايور، 2016) كما يقول عبد الفتاح كيليطو "إن الغربة والاغتراب لهما علاقة بالبعد والابتعاد" (كيليطو، 2006).

إن وعي الكاتبة ورقي كتاباتها يدل على أنها استفادت كثيراً من الكتابة الأدبية العالمية والمغربية وكذا الأمازيغية. بالإضافة إلى النقد الإيجابي الذي طال أعمالها الإبداعية، لكونها مغايرة للمألوف النسقي والتمييزي في الابداع الأمازيغي وخصوصاً الرواية النسوية.

لذا فالتراكم الذي تشهده الرواية النسوية الأمازيغية بالمغرب يفرض بالضرورة الانتقال إلى المرحلة النقدية ف "أمام هذه الوفرة والتي هي في الأصل بداية للتراكم السردية ...، تبقى على عاتق الناقد الأمازيغي المعاصر مسؤولية تطوير تجربته النقدية بفضل التراكم الكمي والنوعي للنصوص المنتجة، حيث أصبح في متناوله الاختيار بين الأعمال الأدبية الصادرة، وتميز الاتجاهات والمدارس والتيارات الإبداعية" (عصيد، 2012).

فالنقد الأدبي ومواكبة الإنتاجات الإبداعية صار ضرورة ملحة، تفرض نفسها في الساحة الأدبية، فهذه "المواكبة النقدية من شأنها أن تقيم تجربة الكتابة الجديدة... وتقوم مسارها. () للكشف عن الطاقات الجمالية الكامنة في النصوص لأنها المعيار الأساس في عملية التمييز" (المنادي، معالم نقدية في مسار تلقي الإبداع الأمازيغي وقراءته، 2010)

وختاماً نود الإشارة انطلاقاً مما سبق، أن الرواية النسوية الأمازيغية تغري بالقراءة والاطلاع، وبالبحث والتحليل لأنها -وبشكل عفوي- تجبر عقل القارئ على التعمق أكثر لفهم هذا الإبداع المميز، فجمالية السرد الأمازيغي والنسوي على وجه الخصوص تستحق أن يدرس وتستحق المكانة الأدبية التي تبوأها.

فالتطور الذي مر منه السرد النسوي منذ سنة 2001 إلى الآن، أنتج ملحمة أدبية في الشكل والبنيات والأساليب واللغة، إذ صرنا نقرأ لكاتبات مثقفات متمكنات من اللغة الأمازيغية بحيث استفدن كثيراً من غناها المعجمي والذي يتجلى في مختلف تنوعاتها، ما جعلها أكثر تميزاً وإبداعاً. بالإضافة إلى إبداعهن الفني في المواضيع، إذ عبّرن عن هوية المرأة وكل ما عانتها ولا زالت تعانیه في المجتمع. عبّرن عن السياسة والدين الشعبي المستغل في الممارسات اليومية، وعن الحب

والعاطفة الجياشة التي تحملها لكل من حولها، وعن الخيال والعجائبي والفتنازيا. عبرت عن الكل بلغة فصيحة سلسة ومتراصة البنية والدلالية، فساهمت في إغناء وتنمية اللغة الأدبية، لدى وجب على العقل المجتمعي أن يتخلى على مجموع الترسبات والتمثلات التي زرعتها السنون في المخيلة الجمعية عن المرأة والاعتراف بدورها في القراءة والكتابة والإبداع، لأن دراسة وتحليل المحتوى السردي النسوي، برهن عن جمالية فنية وأدبية في التخيل، ومعالجة المواضيع المختلفة التي تطرقت لها النساء الأمازيغيات.

وبما أن الكاتبة الأمازيغية بلغت هذا المستوى العالي المتمكن من الفنية والجمالية، فلا بد من المهتم بالكتابة الإبداعية وبالأدب الأمازيغي أن يطلع ويبحث أكثر في هذا المجال. فما أحوجنا إلى دراسات أكاديمية تتعمق أكثر في البعد والمدى الإبداعي الذي تستطيع المرأة أن تبلغه!

المصادر والمراجع:

- تاريخ الأدب الأمازيغي مدخل نظري، تنسيق محمد أقوضاض، أعمال مائدة مستديرة: 20-21 يوليوز 2004.
- دراسات في الأدب الأمازيغي، مؤلف جماعي، الطبعة 1، منشورات رابطة تيرا، دار السلام، الرباط، 2013.
- قراءات في الرواية الأمازيغية، مؤلف جماعي منشورات رابطة تيرا، الطبعة 1، دار السلام، الرباط، 2014.
- جيرالد، برنس، قاموس السرديات، ترجمة السيد إمام، الطبعة 1، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، 2003.
- محمد، أقضاض (2007)، شعرية السرد الأمازيغي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.
- شعيب، حليفي (2007)، شعرية الرواية الفانتاستيكية، الطبعة 2، دار الحرف للنشر والتوزيع، القنيطرة، المغرب.
- كتاب: عتبات السرد الأمازيغي الحديث، منشورات منظمة تامينوت - فرع أكادير، مطبعة Centre Imprimerie، آيت ملول، 2011، الطبعة 1.
- الكتابة السردية بالأمازيغية مقاربات نقدية، تنسيق رشيد نجيب، منشورات رابطة تيرا، دار السلام، الرباط، الطبعة الأولى، 2016
- الملتقى الأول للرواية الأمازيغية، الرواية الأمازيغية: النشأة والامتداد، تنسيق عياد أحيان ورشيد نجيب، منشورات رابطة تيرا الطبعة الأولى 2019.
- دراسات وأبحاث في الأدب العربي الحديث، عبد السلام فزازي، إشكالية الأدب النسوي، 2022.
- الكتابة النسائية المغربية الإنتاج والتلقي، إعداد وتقديم بديدة الطاهري وريبعة معروف، جمعية الباحثات بجنوب المغرب. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية 2020.
- في الآداب والفنون الأمازيغية، فؤاد أزروال، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، 2020.
- تاسكلان تمازيغت مدخل للأدب الأمازيغي، أعمال الملتقى الأول للآداب الأمازيغي، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، الدار البيضاء 17_18 ماي 1991.
- مداخل نقدية موسعة في التاريخ الأدبي، مجموعة مؤلفين، ترجمة وتقديم د.حسن الطالب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية 2021
- اسيناك، الأدب الأمازيغي: النشأة والتصنيف والتطور، تنسيق فاطمة بوخريص، مجلة المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية 2015